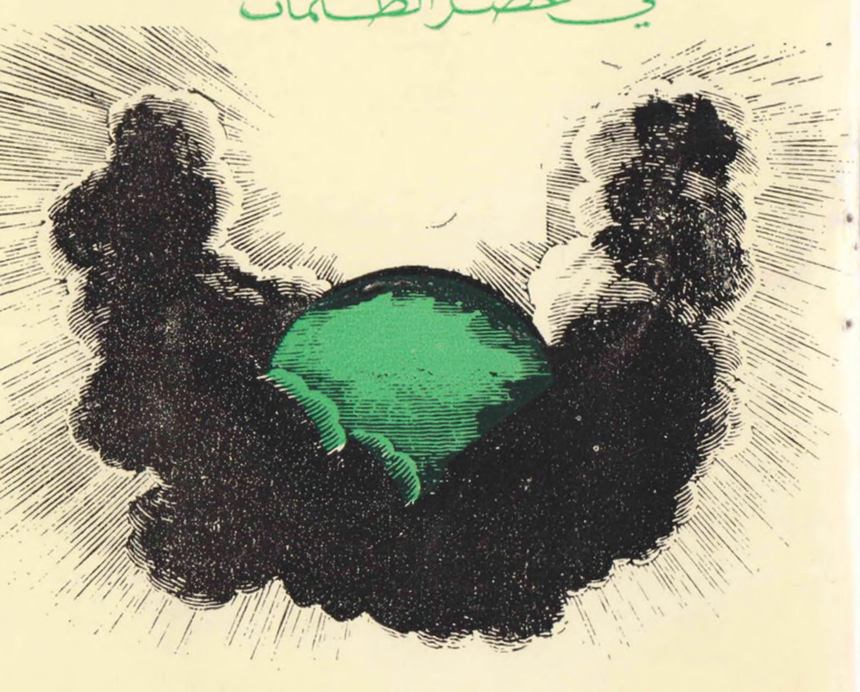
هادي المدرّسي

مسؤولية العلماء

في عصر الظلمات



دار التيار الجديد
بيروت - لبنان

هادي المدرسي



مسؤولية العلماء
في عصر الظلمات

دار التيار الجديد
ص . ب . ١٤٦٢
بيروت لبنان

● إسم الكتاب : مسؤولية العلماء في عصر الظلمات
● المؤلف : هادي المدرسي
● الناشر : دار التيار الجديد
● الطبعة الثالثة : ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين
الرحمن الرحيم
مالك يوم الدين
اياك نعبد واياك نستعين
اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم
غير المغضوب عليهم
ولا الضالين .

ما هي مسؤولية العلماء ؟

وما هي حقوقهم ؟

ومن هم العلماء الذين يجب اتباعهم ؟

ومن هم العلماء الذين يجب الابتعاد عنهم وتجنبهم ؟

أي دور يجب أن يؤديه العلماء في هذا العصر ؟

***

هذه الأسئلة ، وكثير من أمثالها ، مطروحة اليوم على الساحة ، تنتظر الجواب .

وهذه الكراسة محاولة للاجابة عليها ، بالاستناد على كتاب الله وسنة رسوله الكريم والأئمة الطاهرين .

ومن الله التوفيق وعليه التكلان

هـ . م

٢٠/ شوال / ١٤٠٠ هـ

قال الله العظيم في كتابه :

﴿ ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور ﴾ .

صدق الله العلي العظيم

للعلم رسالة

ورسالته أن يعطي الوعي ، ويحمل الانسان المسؤ ولية .

ومن هنا فان العلم « مقدمة » ، وليس « نتيجة » . وهو « سبب » وليس « هدفا » .

ولذلك فان الاسلام الذي يعتبر العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ويطالب بالبحث عنه ولو في « الصين » ويعتبر العلماء أفضل من أنبياء بني اسرائيل ، نراه يصف العالِم الذي لا يعمل بعلمه ، وينسلخ عنه بالكلب فيقول : ـ

﴿ واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه من آياتنا فانسلخ منها ﴾ . .
﴿فمَثَله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ .

ذلك لأن العلم كالنور الذي هو وسيلة للرؤ ية . وأية قيمة للشمعة التي لا تستفيد منها لرؤ ية الطريق ؟

وأية قيمة للشجرة التي لا تعطيك ثمرة ؟ وأية قيمة للعين التي لا تبصر بها الحياة ؟ .

يقول عيسى بن مريم (ع) : -

« بحق أقول لكم : إن شر الناس لَرَجل عالِم آثر دنياه على علمه ، فأحبها ، وطلبها ، وجهد عليها ، حتى لو استطاع أن يَجعل الناس في حيرة لفعل . وماذا يغني عن الأعمى سعة نور الشمس ، وهو لا يبصرها ؟ كذلك لا يغني عن العالِم علمه اذا هو لم يعمل به . فتحفظوا من العلماء الكذبة . الذين يخالف قولهم مع فعلهم » .

تحف العقول / ص ٣٧٥

***

اولا : مسؤولية العلماء

والسؤال الآن هو : ما هي مسؤولية العلماء ؟
والجواب : إن على العلماء مسؤوليتين أساسيتين : -

أولا - مسؤوليتهم تجاه الناس .
ثانياً - مسؤوليتهم تجاه الحاكمين .
أما مسؤوليتهم تجاه الناس فتتلخص فيما يلي : -

واحد) تذكير الناس بواجباتهم ، ومسؤولياتهم . . « فذكّر ، إنما أنت مُذكّر » . يقول الامام الصادق (ع) : -

« ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهونه أن تأتوه فتؤنبوه وتعظوه ، وتقولوا له قولاً بليغا » . البحار / ١٠ / ٨٦

أثنين) التوعية الجماهيرية ، والكشف عن الحقائق وتبيان الحلال والحرام .

يقول الامام علي (ع) : -
« ما أخذ الله ميثاقاً من أهل الجهل بطلب تبيان العلم ، حتى أخذ ميثاقا من أهل العلم ببيان العلم للجهّال . لأن العلم

قبل الجهل » البحار / ٢ / ٢٣ .

ويقول الامام الصادق (ع) : -

« يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ، ينفون عنه تأويل المبطلين ، وتحريف الغالين ، وانتحال الجاهلين ، كما ينفي الكير خبث الحديد » رجال الكشي / ٤ .

ثلاثة) زرع الأمل في نفوس الناس .

يقول الامام علي (ع) : -

« ألا أخبركم بالفقيه حقا ؟ انه من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤمنهم من عذاب الله ، ولم يؤيسهم من روح الله ، ولم يرخّص في معاصي الله » الوسائل ٤/ ٨٣٠ .

أربعة) العمل من أجل الفقراء والمحرومين ورفع الظلم عنهم .

يقول الامام علي (ع) : -

« أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة (شبع) ظالم ، ولا سغب (جوع) مظلوم » نهج البلاغة / ٥٢ .

ويقول الامام الصادق (ع) : -

« ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوي الثروة والشرف ، ولا يرى له في المساكين وضعا ، فذلك في الدرك

الثالث من النار » البحار ٢/ ١٠٨ .

خمسة) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

يقول الامام الجواد (ع) : -

« والعلماء في أنفسهم خانة ، ان كتموا النصيحة ، ان رأوا تائها ضالا ، لا يهدونه ، أو ميتا لا يحبونه ، فبئس ما يصنعون ، لأن الله - تبارك وتعالى - أخذ عليهم الميثاق في الكتاب ، أن يأمروا بالمعروف وبما أمروا به . . وأن ينهوا عمّا نهوا عنه ، وأن يتعاونوا على البرّ والتقوى ، ولا يتعاونوا على الاثم والعدوان » الكافي ٨/ ٥٤ .

***

وأما مسؤولية العلماء تجاه الحكّام الظلمة ، فهي المجابهة ، والمقاومة ، والمقاتلة .

يقول الله تعالى لنبيّه موسى : -

اذهب أنت وأخوك بآياتي ، ولا تنيا في ذكري . . « اذهبا الى فرعون انّه طغى » ٢٠/ ٤٢ - ٤٣ .

ويقول : -

« وقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم » .

***

ثانيا : صفات العلماء الثائرين

العلماء على أنواع ثلاثة : ـ
أولا ـ العلماء الثائرون
ثانيا ـ العلماء الجامدون
ثالثا ـ العلماء الفاسقون
فما هي صفات العلماء الثائرين ؟
والجواب : هي كالتالي : ـ

واحد / التضحية في سبيل الله .

فالعالم الثائر ، لا يخاف الموت ، ولا يرهب القتل .
يقول الامام الحسين (ع) : ـ

« ولو صبرتم على الأذى ، وتحملتم المؤنة في ذات الله ، كانت أمور الله عليكم ترد . وعنكم تصدر . واليكم ترجع ، ولكنكم مكّنتم الظلمة من منزلتكم ، وأسلمتم أمور الله في أيديهم ، يعملون بالشبهات ، ويسيرون في الشهوات ، سلّطهم على ذلك فراركم من الموت ، وإعجابكم بالحياة التي

هي مفارقتكم » تحف العقول / ١٧٢ .

ويقول الامام الجواد (ع) : ـ

« ان الله جعل في كل من الرسل بقايا من أهـل العلـم . . يدعون من ضلّ ، الى الهدى ، ويدعون الى الله ، فأبصرهم ، فـانهم في منزلة رفيعة ، وان أصابتهم من الدنيا وضيعـة . انّـهم يحيون ـ بكتاب الله ـ الموتى . ويبصرون بنور الله من العمى . كم قتيل لابليس قد أحيوه ؟ وكم من تائه ضال قد هدوه . يبذلون دمائهم دون هلكة العباد ، وما أحسن أثرهم على العباد » الكافي ٢/ ٥٦ .

اثنين / الشجاعة .

فالعالم الثائر هو رجل شجاع ، لا يخاف غير الله .

يقول الله تعالى : ـ

﴿ الذين يبلّغون رسالات الله ، ويخشونه ولا يخشون أحدا الاّ الله ، وكفى بالله حسيبا ﴾ ٣٣/ ٢٩ .

ويقول : ـ

« انما يخشى الله من عباده العلماء » ٣٥/ ٢٨ .

وواضح أنّ من يخشى الله وحده لا يهاب ، ولا يخاف . ألا

يقول الحديث القدسي : -

« من خاف الله ، أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله كل شيء » (كلمة الله) .

ثلاثة / التواضع للناس .

فالعالم الثائر ، كالشجرة الممتلئة التي كلّما ازدادت ثمارا ، ازدادت أغصانها انحناء .

يقول النبي (ص) : -
« من طلب العلم لله ، لم يصب منه بابا الاّ ازداد به في نفسه ذلاّ . وفي الناس تواضعا ، ولله خوفا ، وفي الدين اجتهادا ، وذلك الذي ينتفع بالعلم ، فليتعلمه » .

روضة الواعظين / ١١

ويقول النبي عيسى بن مريم (ع) : -
« بحق أقول لكم : إن الزرع ينبت في السهل ، ولا ينبت في الصفا ، وكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ، ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار ، ألم تعلموا أنه من شمخ برأسه الى السقف شجّه ، ومن خفض برأسه عنه ، استظلّ تحته وأكنّه . . وكذلك من لم يتواضع لله خفضه ، ومن تواضع لله رفعه » تحف العقول / ٣٧٥ .

أربعة / الزهد .

فالعالم الثائر زاهد في حطام الدنيا .

يقول النبي (ص) : -

« لا يكون الرجل فقيها حتى لا يبالي أي ثوبيه ابتدل . . وبماذا سدّ فورة الجوع » البحار ٢/ ٤٩ .

خمسة / نفع الآخرين .

فالعالم الثائر يرى نفسه - كما الامام الخميني العظيم - مجرّد خادم للناس .

يقول الامام الباقر (ع) : -

« عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين عابد » .

الكافي ١/ ٣٣

***

ثالثا : صفات العلماء الفاسقين

العلم كالسلاح ، قد يحمله المؤمن المخلص ، وقد يحمله المنافق الفاسق . فالمؤمن يستعمله في نصرة الحق ، والفاسق يستعمله في نصرة الباطل .

فما هي صفات العلماء الفاسقين ؟

والجواب : -

واحد / ترك التوعية .

فالعالم الفاسق ، لا ينشر العلم ولا يقوم بواجب التوعية .

يقول النبي (ص) : -

« من كتم علما نافعاً ، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » البحار ٢/ ٧٨ .

ويقول الامام الصادق (ع) : -

« إن من العلماء من يحب أن يخزن علمه ، ولا يؤخذ عنه فذاك في الدرك الأول من النار » البحار ٢/ ١٠٨ .

اثنين / حب الدنيا .

فالعالم الفاسق يحب الدنيا ويبحث عنها .

يقول الله تعالى : ـ

﴿ وأتل عليهم نبأ الذي آتيناه من آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان ، فكان من الغاوين ، ولو شئنا رفعناه بها ، ولكنه أخلد الى الأرض وأتبع هواه ﴾ .

٧/ ١٧٥ ـ ١٧٦

ويقول تعالى : ـ

﴿ يا أيها الذين آمنوا ، ان كثيرا من الأحبار والرهبان لَيأكلون أموال الناس بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله ﴾ ٩/ ٣٤ .

ويقول الامام الصادق (ع) : ـ

« اذا رأيتم العالم محبا للدنيا ، فاتهموه على دينكم فان كل محب يحوط ما أحبّ » .

ويقول الامام الكاظم (ع) : ـ

« ان الله أوحى لداود : « قل لعبادي لا يجعلوا بيني وبينهم عالما مفتوناً بالدنيا ، فيصدهم عن ذكري ، وعن طريق محبّتي ومناجاتي ، أولئك قطّاع الطريق من عبادي » .

تحف العقول / ٢٩٣

ثلاثة / النفاق .

فالعالـم الفاسـق ، يقـول ما يرضي النـاس ويعمـل ما يعجبه .

يقول النبي (ص) : -

« ويل للّـذين يجتلبون الدنيا بالدين . يلبسون للناس جلود الضـأن من لـين ألسنتهـم ، كلامهـم أحلى من العسـل . . وقلوبهم قلوب الذئاب » البحار ٧٧/ ١٧٣ .

أربعة / طلب الزعامة .

فالعالم الفاسق يحب الرئاسة والفخفخة .

يقول النبي (ص) : -

« من طلب علماً ليصرف (ليوجّـه) وجوه النـاس اليه ، لم يجد ريح الجنة » مكارم الأخلاق / ٥٤١ .

خمسة / التودد الى الأمراء والسلاطين .

يقول الله تعالى : -

﴿ ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ، يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للّـذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجـد له نصيرا ﴾ ٤ / ٥١ ـ ٥٢ .

يقول النبي (ص) : -
« إياكم وأبواب السلطان وحواشيها ، فان أقربكم من أبواب السلطان وخواشيها ، أبعدكم من الله - تعالى - ومن آثر السلطان على الله - عزّ وجل - أذهب الله عنه الورع وجعله حيرانا » ثواب الأعمال / ٣١٠ .

ويقول الامام الصادق (ع) : -
« قال رسول الله : الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا . قيل : يا رسول الله ، وما دخلوهم في الدنيا ؟ . . قال (ص) « اتباع السلطان ، فاذا فعلوا ذلك فأحذروهم على دينكم » الكافي ٢/ ٤٢ .

ستة / السكوت عن الحق .

فالعالم الفاسق لا يهمه ما يجري على الساحة .

يقول الامام الحسين (ع) : -
« اعتبروا - أيها الناس - بما وعظ الله به أولياءه ، من سوء ثنائه على الأحبار ، اذ يقول : ﴿ لولا ينهاهم الربّانيون والأحبار عن قولهم الاثم ﴾ وقال ﴿ لعن الذين كفروا من بني اسرائيل ﴾ الى قوله : ﴿ لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ وانما عاب الله ذلك عليهم ، لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين

أظهرهم ، المنكر والفساد ، فلا ينهونهم عن ذلك ، رغبة فيما كانوا ينالون منهم ورهبة مما يحذرون ، والله يقول : ـ ﴿ فلا تخشوا الناس وأخشون ﴾ تحف العقول ١٧١ .

سبعة / بث التفرقة .

فالعالم الفاسق يحب التفرقة ويبث الخلافات .

يقول الله تعالى : ـ
﴿ وما تفرّقوا الاّ من بعدما جائهم العلم ، بغيا بينهم ﴾ ١٤/٤٢ .

يقول الامام علي (ع) في وصف علماء السوء : ـ
« ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام ، فيحكم فيها برأيه ، ثم ترد القضية بعينها على غيره ، فيحكم فيها بخلافه ، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم فيصوب آرائهم جميعا ، وآلهم واحد ونبيّهم واحد ، وكتابهم واحد » .

« أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه ؟ أم نهاهم عنه فعصوه ؟ » نهج البلاغة ٧٤ / .

ثمانية / ممارسة الفسق .

فالعالم الفاسق ، لا ورع له .

يقول الامام علي (ع) : -

« ايّاكم والجهّال من المتعبدين ، والفجّار من العلماء . . فانهم فتنة كل مفتون » البحار ٢/ ١٠٦ .

ويقول (ع) : -

« قصم ظهري رجلان من الدنيا : رجل عليم اللّسان فاسق ، ورجل جاهل القلب ناسك ، فاتقوا الفاسق من العلماء فاني سمعت رسول الله (ص) يقول : -« هلاك أمتي على يدي كل منافق عليم اللّسان » روضة الواعظين / ٦ .

ويقول الامام الصادق (ع) : -

« ان في جهنم رحى تطحن خمسا ، أفلا تسألوني ما طحنها ؟ . . فقيل له : وما طحنها ؟ قال : العلماء الفجرة ، والقرّاء الفسقة ، والجبابرة الظلمة ، والوزراء الخونة ، والعرفاء الكذبة » الخصال ٢/ ١٤٢ .

وقد قيل للنبي (ص) : -

« أي الناس شر ؟ فقال : العلماء اذا فسدوا » .

تحف العقول / ٣١

تلك كانت صفات العلماء ، الثائرين منهم ، والفاسقين .. فما هو الموقف المطلوب تجاه كل فريق منهم ؟ .

والجواب ..

لقد أوجز رسول الله (ص) هذا الموقف بقوله : ـ

« لا تجلسوا عند كل داع مدع ، يدعوكم من اليقين الى الشك . ومن الاخلاص الى الرياء ، ومن التواضع الى الكبر ومن النصيحة الى العداوة ، ومن الزهد الى الرغبة .

« وتقربوا الى عالم يدعوكم من الكبر الى التواضع ، ومن الرياء الى الاخلاص ، ومن الشك الى اليقين ، ومن الرغبة الى الزهد ، ومن العدواة الى النصيحة » البحار ٢/ ٥٢ .

***

وبكلمة :

ان الموقف اللازم تجاه العلماء الثائرين هو اطاعتهم ، والسير على خطاهم .

اما الموقف تجاه العلماء الجامدين فهو تركهم والابتعاد عنهم .

واما الموقف تجاه العلماء الفاسقين فهو فضحهم . ومجابهتهم لئلا يضلوا عباد الله تعالى .

الفهرست